



صورة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف

(المهدى إليه الكتاب)

موقعا عليها بخطه الكريم في كلمة شرف بها المؤلف

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| ملك المغرب المقدي محمد   | هذه صورة لأسمى ملك         |
| ق نسيم ترى الجميع مجيد   | فانظر النبيل والذكاء وأخلا |
| ل لشعب بملكه الدهر يستعد | ناهض بالفنون والعلم والعد  |
| وشفوف طول المدا يتجدد    | دام في منعمة ونصر عزيز     |

إهداء الكتاب

مولاي:

لما تم لهذه الدرر مطلع بدرها، وسعد بملوك المغرب علي قدرها ألفتها عقيلة لا  
كفاء لها إلا سلطان عصرها؛ إذ هو بيت القصيد من قصرها، فيممت بها أعتابه  
الشريف، ووضعنها وهي المرفوعة به في ظلاله الوريقة، فزادت ابتهاجا وانشدت،  
وعن ذكرى فخره الكامل ما عدت:

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| أزري سناها بالدراري الزاهره | مولاي ذي (در) بدت بك فاخره |
| ألقى بفاس رحله ومظاهره      | حليته مؤتمر العلوم بها وقد |

شفتُ مسمعه بحلية صفوة  
جافت جنوبهم مضاجع راحة  
كم جاهلوا في الله حق جهاده  
كانوا الأباة فلا يضام نزيلهم  
آثارهم أضحت بفاس شاهلا  
سامرت فيها قاصدا لإرشاد من  
من باحث مستشرق أو سائح  
وإذا تشوفت النفوس لغيرها  
وحيصوهم كشهارة مشهورة  
يكفيك ما قد أسست هم لهم  
فإليكها عنراء روح غيرها  
تبغي القبول وللثرى قد قبلت  
شرفت بنسبتها إليك واتها  
تاهت دلالا وهي قول صادق  
حسب (ابن زيدان) افتخارا أنه

آثارهم في الملك أضحت باهره  
في نفع أمتهم بعين ساهره  
بسيوف عدل للمحارب قاهره  
لكن نفوسهم الأبية طاهره  
عدلا لعشاق البدائع ظاهره  
ضل الطريق ولم يجب بالساهره  
في الفن يتفق تبرزه وجواهره  
فقلاعهم لظبى الحقيقة شاهره  
وقصورهم أنست جمال الزاهره  
بالمغرب الأقصى فيذ القاهره  
زمن الريع به يمد أزهراه  
ويفخر دولتك الشريفة جاهره  
صنعت بكف في الصناعة ماهره  
أفلا تكون لمن يعارض ناهره  
أمداحكم صارت لديه مداهره



### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، الحمد لله حمد مستمد من منته وطوله، مستعد بقوته وحوله، والصلاة والسلام على من أزرى صينه بأزهار الشمايخ، وحول منذ أشرقت شمس طلعت على الوجود مجرى التاريخ، حتى أجمعت الأمم على التأريخ بهجرته، وسبحت الأفكار في نير مجرته، سيدنا محمد الذي حاز بين الأنبياء والرسل من الفضل أكمل الحصص، وقصَّ الله عليه في كتابه الحكيم أحسن القصص، وعلى آله اللبث المغاير، وأصحابه الفاتحين المشاهير، ما أفرغ تاريخ في قالب الحقيقة، وما كانت الحقيقة بإزهاق الشعوذة حقيقة؛ أمّا بعد فيقول خديم العلم والتاريخ عبد الرحمن ابن زيدان الحسيني العلوي ألهمة الله رشده، وبالتوفيق أمدته:

إن أهم ما يرتاح إليه الضمير، ويتسابق في مضماره المأمور والأمير، تسابق من طبع على الأدب إلى أخبار السمير، وأن أنفس ما ينفاح عنه الأريب بسيف عزمه، ويخزم اللبيب لاقتنائه بحزام حزمه، هو ما يعود نفعه على المجتمع، ويخص بعموم فائدته من قرأ أو استمع، ويحق له أن تنفق الأوقات النفيسة عليه، ونبذل جواهر الأعمار في الوصول إليه، رعيًا لباعث الشرف السامي على كل شرف، وسعيًا وراء إرضاء السلف، وتحصين مآثرهم من التلف، حتى كأنهم في ميدان<sup>(١)</sup> الحياة يسرحون، وفي حلق مجدهم الفاخرة يمرحون، فمن حسنات دينية إلى مزايا دنيوية، ومن أخلاق عليية إلى أسرار جلية، تجدد كل آن لهم ذكرا، وتبتهج بها بنو جلدتهم عينا وفكرا، ولا سيما وهم أهل الحياتين؛ الحياة المادية المقضي عليها بالاندثار في هذه الدار، والحياة الأدبية التي تتجدد بتجدد الجديدين وتوالي الأعصار، والعاقل من يرى أن مائل الأتار، هو من قبيل النسل البار، وزبدة الحياة التي تتمخض عنها الحقيقة، ونتيجة الأعمار التي تبرزها أسرار الخليفة، فتكون بالاعتبار والدرس خليفته:

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي فم سره نسل فأنابها نسلو

أجل إننا كلما تتبعنا في خطواتنا أسلوب الحكيم، وتلونا بتدبر آيات الذكر الحكيم، وجدنا أنفسنا متمسكين في عملنا هذا بهدايته، مقتفين أثر خليله وحامل رسالته؛ حيث قال في موقف الداعين الذاكرين: {واجعل لي لسان صدق في الآخرين}. وقد أفصح عن ذلك خير من ظللته الغمامة، بقوله: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وبقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»، وقد أنهى الحافظ السيوطي ما ينتفع به الإنسان وهو في دار البقاء، إلى إحدى عشرة خصلة مما خلفه في دار الفناء.

فلا غرو إذا شغفل ملوكنا العلويون حماة الإسلام، وسلاطين سلطته العظام «لا زال فخرهم مخلدا، وعنوان مجدهم في الوجود مجددا» بتشييد الآثار، وحياطتها من الاندثار، وتخليدها شاهدا عدلا على أن لهم في الحضارة وحسن النظام القدر المعلي، فإن كانت هي الدالة على المدنية فهذه آياتها تتلى، لا تقبل غمطا ولا طمسا ولا اختلا، وإن كانت المدنية في استقلال القضاء وتوحيده، فقد دأبوا في تنسيقه وتنظيمه وتوطيده، وإن كانت المدنية في نظام الجند، فقد رفرق به على مملكتهم الشاسعة البند، وإن كانت المدنية في ضبط الجباية، فقد بلغوا فيه النهاية، وإن كانت المدنية في اختيار العمال، فقد قاموا في ذلك بجلال الأعمال، وإن كانت المدنية في الرفق بالرعية، فقد سلكوا طريقها المرعية، وإن كانت المدنية في الديمقراطية، فإنها لا تكاد تتحقق إلا فيهم في كل طية، وإن كانت المدنية في القيام بالشئون الداخلية والخارجية، فقد أحسنوا القيام بها وحاطوها بسياج التدبير من كل ناحية، وإن كانت المدنية في تعميم التعليم، فقد قاموا بنشره في كل إقليم، وإن كانت المدنية في نشر الدين، فقد كانوا في سبائه نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين، وإن كانت المدنية في الجري على مقتضيات علوم الصحة، فقد كان كل منهم يبذل في تطبيقها على الأمة نصحه، ولا سيما وتعاليم

الدين الإسلامي تنفحهم من ذلك بأطيب نفحة، وترد عن المحافظة عليها هجير الرباء ولفحه، والدين النظافة، فأهله آمنون من كل عاهة وآفة، وإن كانت المدنية في تزعم الحروب والسياسة، فإنهم مثال القدوة في ذلك والكياسة، وإن كانت المدنية في تنظيم الخراج، وحيطة بيت مال المسلمين بأحصن سياج، فقد كانوا في ذلك على أقوم منهاج، وإن كانت المدنية في ترتيب الرحلات والتشيب بالرياضة، فقد كانوا في ذلك روح الأمة الفياضة، حتى ضربت بشجاعة أتباعهم الأمثال، وسجل ثبات جأشهم في سجل عظماء الأبطال، وحتى كان المغرب يرهب جانبه، وتخشى سطوته أجنبيه، وإن كانت المدنية في مقاومة الفوضى<sup>(١)</sup> والهمجية<sup>(٢)</sup>، فقد أثبت ذلك تاريخ مجدهم بأحرف بارزة ذهبية، وإن كانت المدنية في أحكام قوانين المحاكم، والتسوية فيها بين المحكومين والحاكم، فتلك شنشتهم المعروفة، وطريقة سلفهم وخلفهم المألوفة، على أن المدنية في الحقيقة، هي المرفق بالخليقة، ونشر لواء السلم، على أساس الإنصاف والعلم، ولا أضمن لذلك سوى تعاليم الإسلام، التي كانوا هم الذائدين عنها والمتمسكين بها في كل مقام، وسيمر بكم في هذه المسامرة من آثارهم، ما يحق لكم ذلك من حسن إيثارهم.

ولطالما والله هممت باستقصاء أعمالهم، وما حققه إخلاصهم لله من آمالهم، فأترجع القهقري، وأقول لنفسي أطرق كرا، أن النعام في القرى، ولكن حيث كان ما لا يدرك كله، لا يترك بعضه أو جلّه، جمعت من زوايا الإهمال، ما أستعرضه أمامكم بالتفصيل والإجمال، مما لهم بخصوص فاس من الآثار، ذات المحاسن الفنية الجليلة. المقدار، لأوقفكم ما لا يستهان به، ولا ينبغي لمؤرخ باحث أن يفنك عن سببه، وهأنا ذا أسامركم في هذا المساء سالكا فيما أحدثكم به عن ملوكتنا الأشراف العلويين

(١) ككسرى.

(٢) الحمق وسوء التدبير.

وأثارهم بفاس طريق الترتيب الطبيعي فأقول:

قد كنت رتبت مسامرتي في المؤتمر الثامن لمعهد المباحث العلمية المغربية الذي انعقد بفاس يوم الخميس الموافق لعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام أحد وخمسين وثلاثمائة وألف موافق سنة ١٩٣٣ على فصلين؛ أحدهما في نظام الدولة داخل القصر وخارجه، وثانيهما فيما للموكتنا من الآثار العلمية والفنية بفاس زيادة على ما أدرجناه في تاريخنا الاتحاف مستدلين على ذلك بما لا زال ماثلا للعيان من النقوش الحشبية والكتابة البارزة على الجبس والأحجار.

وانتي أرى هنا من أكد الواجبات الأدبية رفع صوت الثناء والشكر لرجل العمل المتواصل والسهر على البحث والتنقيب على الكتب القيمة (م) لافي ابروفنصال مدير المعهد العلمي برباط الفتح؛ إعلانا بما بذله من الجهود وأبداه من أصالة الرأي في إخراج الكتب العربية من زوايا الإهمال إلى الطبع والنشر، وأسس من المشاريع العلمية التي لا يُمتري في تحييد نتائجها المزدوجة والإقرار بأنها من حميد المساعي وخير المجهودات؛ وأكبر شاهد هذا المؤتمر الجم الجدوى، العظيم الفائدة، المشحذ للأذهان، الباعث للهمم من مرقداه، فلولا ما قمت على ساق بانتساق، لجمع هذه المسامرة التي أمني فقرات منها وشذرات ذهبية على مسامعكم.

وحيث توفرت المواد وتكاثرت بعد ذلك وطال الموضوع وطالب، ظهر لي أن أفرد النظام بمؤلف، والآثار بمجلد كل على حدة؛ كما لاح لي ألا أقتصر في ترجمة ملكنا المحبوب «أيده الله ونصره» على ما له بفاس من الآثار الناطقة بفضل؛ بل أدرج فيها ما له من غيرها من أمهات المدن والقرى، جعلنا الله ممن تمسك منه بوثق العرى، وأعاننا على ما نحن بصدده، وأمدنا بتسديده وعونه ومدده:

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين



